

الهندسة الاجتماعية وآليات الارتقاء الاجتماعي

د. خليل محمد الخالدي*

المقدمة

تعنى هذه الدراسة بتسليط الضوء على جانب حيوي مهم من جوانب علم الاجتماع، ذلك هو الجانب التطبيقي applied sociology ، القائم على توظيف ما يتوصل اليه علماء الاجتماع من نظريات وقوانين وفروض ونتائج وحقائق اجتماعية، على جوانب الحياة المختلفة من أسرية وتربوية واقتصادية وسياسية، لغرض تحقيق أهدافها، وبنائها على أسس وقواعد سليمة تمكنها من اداء وظائفها ومهامها المفردة بها.

كما تتجلى أهمية الجوانب التطبيقية في علم الاجتماع في ميدان مواجهة المشكلات الاجتماعية social problem، من خلال دراستها وتشخيص أسبابها وعواملها، ووضع الحلول والمعالجات العلمية، التي تحول دون تفاقمها واستفحالها في المجتمع.

ان الهندسة الاجتماعية بوصفها الميدان التطبيقي في علم الاجتماع، تبحث في السبل والوسائل العلمية، التي من شأنها أن تنهض بالمجتمع وتحقق ارتقاءه الاجتماعي والحضاري عبر عدد من المناهج والأدوات العلمية التي تستند اليها الهندسة الاجتماعية، كعمليات التخطيط الاجتماعي social planning وعمليات التنظيم الاجتماعي social organization، تلك العمليات القائمة على أسس علمية رصينة، تمكنها من تحقيق تنمية اجتماعية شاملة في جميع قطاعات المجتمع.

* مدرس/ قسم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة الموصل.

اعتمدت هذه الدراسة على منهج التحليل الاجتماعي الذي يعبر بشكل عام عن رؤية منهجية سوسولوجية، في تحليل الاحداث والظواهر الاجتماعية، وفقاً لمنطلقات علم الاجتماع ومناهجه.

تضمنت الدراسة ثلاثة مباحث، اختص المبحث الأول منها بتوضيح الإطار المنهجي والمفهومي للبحث، فيما اختص المبحث الثاني منه بشرح وتوضيح طبيعة الهندسة الاجتماعية ومجالاتها الأساسية في المجتمع، بوصفها منهجاً اجتماعياً متكاملاً لتحقيق رفاهية المجتمع وارتقاءه. وتضمن المبحث الثالث توصيفاً موجزاً عن أهم الوسائل والآليات المقترحة، لتحقيق الارتقاء الاجتماعي المنشود في هذه الدراسة. من قبيل الأسس والقواعد التي تستند إليها الهندسة الاجتماعية، في عمليات البناء وإعادة بناء الهياكل الاجتماعية الاقتصادية بما يحقق التنمية الشاملة للمجتمع في جميع ميادين.

الخلاصة

لقد سعت هذه الدراسة الى تبيان طبيعة الهندسة الاجتماعية ومجالاتها واهتماماتها وموضوعاتها، من خلال ما تم تأكيده في هذه الدراسة من محاور أساسية مثلت الميادين العملية والتطبيقية، التي تتحرك فيها آليات الهندسة الاجتماعية وادواتها المنهجية في تحقيق الارتقاء الاجتماعي والحضاري، التي تنشده الهندسة الاجتماعية.

سواء في مجالات البناء المادي، كدعم مشاريع التنمية بأنواعها المختلفة، كالخدمات الاجتماعية من تعليمية، وصحية، وزراعية، وصناعية، وغيرها من خدمات البنى التحتية، أو في مجال البناء المعنوي الانساني، الذي عبرنا عنه، بصياغة وتنميط الفعل الاجتماعي، عبر التشكيلات المؤسسية، التي تساهم في عمليات بناء السلوك الاجتماعي واعداده، بشكل عقلاني رشيد، يمكنه من ممارسة دوره في شتى مجالات الحياة الاجتماعية.

وقد تضمنت الدراسة طائفة من القواعد والآليات التي عُدت الركائز الاساسية التي تقوم عليها فكرة الهندسة الاجتماعية، كعمليات التخطيط والتنظيم الاجتماعي، وبرامج التنمية باشكالها وانواعها المختلفة، فضلاً عن الدراسات الميدانية والتطبيقية، التي تشخص كثيراً من المشكلات الاجتماعية، والمعوقات التي تواجه عمليات الاصلاح والتنمية، التي تقوم على برامج التخطيط الاجتماعي والاقتصادي والتربوي، التي تُعد وسائل فعالة في دفع عمليات الاعمار والبناء التي تقوم عليها فكرة الهندسة الاجتماعية، لأجل تحقيق الارتقاء الاجتماعي والحضاري الذي تنشده المجتمعات البشرية.

المبحث الأول

الاطار المنهجي والمفهومي للبحث

أولاً : مشكلة البحث

لا يخفى علينا ان علم الاجتماع قد حقق كثيراً من التقدم والنجاح، على المستوى الاكاديمي العلمي، وعلى المستوى العملي التطبيقي applied level، وان تباينت هذه النسب بين الدول المتقدمة والدول النامية، فنستطيع القول أن الاولى قد استفادت فائدة كبرى من ثمار العلم ومنجزاته سواء في المجالات المادية أو المعنوية، كتوظيف نتائج ونظريات العلم في مجالات الصناعة والتصنيع، أو التخطيط والعمران، أو المشكلات الاجتماعية والانحرافية كالجريمة، الجناح والبغاء، والتفكك الاسري، وقد افادت تلك المجالات فائدة كبرى، أما على المستوى المعنوي والجانب الانساني، فقد كان للعلم حضوره الفاعل في تنظيم وتمييط العمليات الاجتماعية social processes والانسانية كعمليات التنشئة الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، فضلاً عن دوره في شرح وتحليل العمليات الاجتماعية الاخرى، كالتعاون، والتنافس، والتنازع، والتضامن والاندماج، وغيرها من

العمليات، كما لا يمكن ان نغفل عن دوره في مواجهة الامراض الاجتماعية
.Social Pathology

في حين لا يزال العلم الاجتماعي، يتحرك ببطء في دولنا النامية، ولم يحقق ذلك التقدم المنشود، لاسيما في الجوانب التطبيقية، والخدمية في المجتمع، اذ لازال العلم معزولاً في الاسوار الاكاديمية والجامعية، ولم يدلف الى واقع تلك المجتمع وتناقضاتها ومشكلاتها، التي هي أحوج ما تكون الى هذا الاهتمام في ظل تلك الظروف الاجتماعية والاقتصادية، من تخلف اجتماعي وثقافي وسياسي، وفقر وجوع وحرمان، وركود في ابنيتها الاجتماعية ومؤسساتها وسائر نظمها.

وفي هذا الاطار يحاول البحث تفعيل ما اصطلحنا عليه بالهندسة الاجتماعية social engineering، بوصفها المجال التطبيقي الفاعل في علم الاجتماع، والقادر على توظيف نتائج العلم وقوانينه ونظرياته في جوانب الحياة الاجتماعية كافة. عبر آلية متكاملة من الوسائل والاساليب العلمية والمنهجية التي تهدف الى النهوض بالمجتمع وتحقيق التقدم والارتقاء الاجتماعي فيه.

ثانياً : أهمية البحث

بالرغم مما حققه علم الاجتماع من تقدم في دراساته وابحائه ونتائجه عبر فروعه المختلفة، إلا أن ما تحقق يعد نسبياً أمراً بسيطاً. إذ لا يعد هذا الانجاز ان يكون محدوداً وذا آثار ونتائج متواضعة حينما نقابله بالانجازات التي قدمتها وحققتها العلوم الطبيعية، في مجال خدمة المجتمع، على نحو من تذليل الصعوبات البيئية والطبيعية.

الا اننا نريد في هذا المكان تبيان دور العلم وأهميته في تذليل الصعوبات الاجتماعية والحياتية، التي باتت تؤرق وجود الإنسان وتهدد بقاؤه الاجتماعي، من قبيل المشكلات الاجتماعية والنفسية التي اخذت بالزيادة

والانتشار، في ظل الحضارة الصناعية، والموجة المعلوماتية التي طغت على روح العصر وتوجهاته.

والحديث عن اهمية الهندسة الاجتماعية social engineering ليس بالاثر الجديد، فقد ظهرت هذه النزعة منذ زمن مبكر، لدى رواد العلم الاوائل، اللذين حاولوا دائماً توجيه العلم الوجهة العلمية والتطبيقية، التي يمكن بها ان يقدم اعلى مستوى من الخدمات والتسهيلات، للمجتمعات الانسانية على اختلاف نظمها وأبنيتها.

ولازلنا نحاول الافادة من ثمار العلم ومنجزاته العلمية، وتوظيفها في جوانب الحياة المختلفة، لغرض تحقيق الرفاهة الاجتماعية والاقتصادية لاكبر قدر ممكن من الأفراد وتحسين احوالهم الاجتماعية والمعاشية، في ظل ظروف اجتماعية طيبة، ينعم فيها الإنسان بالسعادة والأمان والطمأنينة.

ثالثاً : اهمية البحث

يسعى البحث الى معرفة ما يأتي :

- ١- طبيعة الهندسة الاجتماعية ومجالاتها.
- ٢- دورها في تحقيق الارتقاء الاجتماعي.
- ٣- طبيعة الوسائل والاليات التي تقوم عليها فكرة الهندسة الاجتماعية.

رابعاً : تحديد المفاهيم

اولاً : الهندسة الاجتماعية Social Engineering

يرى بعض علماء الاجتماع بضرورة جعل العلوم الاجتماعية تعتمد على الدراسات التطبيقية والنظرية في آن واحد. وهذا يقتضي تطوير التقنية الاجتماعية وتطبيقها على المجتمع بغية تحسينه وتقديمه وتنميته^(١).

^١ د. احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٢ . . .

ان افكار الهندسة الاجتماعية ظهرت على اعقاب ظهور فكرة التغير الاجتماعي المخطط. إذ ان الهندسة ترمي الى تنظيم المجتمع والتخطيط له وفق ما تتطلبه الظروف الحياتية، والخواص البيئية التي يتميز بها^(١). ونرى ان الهندسة الاجتماعية تسعى للافادة من الحقائق والمعلومات والنظريات التي يتوصل اليها علماء الاجتماع، في عمليات الارتقاء الاجتماعي، والانتقال بالمجتمعات من واقع متخلف الى واقع اكثر تقدماً ورقياً أو حضارياً.

ثانياً : الارتقاء الاجتماعي Social Evolution

جاء في لسان العرب، اصل الفعل رقى ورُقِيَ الى الشيء رُقياً ورقواً وارتقى يرتقي وترقى صعداً، والترقي الصعود والارتفاع، قال سيبويه للاعشى^(٢).

لئن كنتُ في جُبِّ ثمانين قامَةً ورقيت أسباب السماء بسلم

أما اصطلاحاً فيشير هذا المفهوم الى طائفة من الوسائل والاليات التي ترمي الى تحسين وتطوير نوعية الحياة التي يعيشها الانسان. وكذلك يعبر هذا المفهوم عن مجموعة من المؤشرات الموضوعية والذاتية التي تحدد طبيعة الحياة ونوعيتها، في فترة حضارية معينة، وإجمالاً يعبر هذا المصطلح عن التحسن البشري كعملية تنم عبر مراحل مخططة وموجهة، تهدف الى تحقيق مستوى اجتماعي ينعم في ضلاله الانسان بالرفاهية الاجتماعية والامن الاجتماعي.

^١ د. احسان محمد الحسن، المدخل الى علم الاجتماع، ط١، دار الطبيعة، بيروت ١٩٨٨، ص ١٨٠.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، ط٣، ج١٤، دار صادر، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٣١.

المبحث الثاني

طبيعة الهندسة الاجتماعية ومجالاتها

إن الهندسة الاجتماعية Social Engineering بوصفها المجال التطبيقي والعملية، في تنفيذ التصاميم والبرامج التي يصل إليها علماء الاجتماع وباحثيه. تلك التصاميم التي تتمخض عن القوانين والنظريات الاجتماعية، التي توصل إليها علماء الاجتماع عبر دراستهم ونتائجهم النظرية والتطبيقية.

إن الهندسة الاجتماعية لا تركز على المشروعات المادية فقط، بل تسعى إلى إيجاد الأجهزة الاجتماعية الفعالة، وإيجاد الإنسان أو العنصر البشري، الذي يستطيع أن يساعد نفسه ويمتلك القدرة على التعاون مع الآخرين لتحقيق الأهداف الجماعية المجتمعية^(١).

وفقاً لذلك فإن الهندسة الاجتماعية تقوم على منهجين متكاملين، فأما المنهج الأول، فيسعى إلى عملية البناء الإنساني، تلك العملية التي تركز على فهم واقع الحياة الاجتماعي، وطبيعة المتغيرات والقوى الاجتماعية والحضارية التي تسهم في صياغة الهوية الاجتماعية social identity للإنسان، عبر عمليات التنشئة الاجتماعية الأسرية Family socialization ومنظومات التنشئة المجتمعية على اختلاف أشكالها ونماذجها، فكل هذه الوسائل تلعب دوراً فاعلاً في عملية البناء الاجتماعي والحضاري للفرد والمجتمع في آن معاً. بحيث يجعله عنصراً فاعلاً وقادراً على ممارسة أدواره وأعماله الاجتماعية والفنية المختلفة، التي سيمارسها في المجتمع، أي إن المنهجية تركز هنا على الفعل الاجتماعي social action ومستلزمات النهوض والارتقاء به على مستوى عالي من الضبط والتنظيم.

^١ د. محمد نبيل جامع، المفتح في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، بلا تاريخ.

أما المنهج الثاني فيرتكز على وضع السياسات والاستراتيجيات التنموية والبنوية التي تبنى على نتائج العلم الاجتماعي من خلال الدراسات والمسوحات الاجتماعية المختلفة التي تتناول جوانب الحياة المختلفة من اجتماعية وديموغرافية واقتصادية. فضلاً عن الدراسات التشخيصية، التي تسعى الى تحديد المشكلات الاجتماعية للمجتمع واحتياجاته المختلفة، ورصها حسب اولياتها، من حيث مدى الحاجة الى اشباعها وتوفيرها للسكان بشكل عام.

فعالم الاجتماع التطبيقي "المهندس الاجتماعي" يحاول ان يوظف النظريات والقوانين الاجتماعية التي يتوصل اليها عبر ابحاثه على قضايا المجتمع وظواهره الاجتماعية، من قبيل التصدي للمشكلات الاجتماعية وتشخيصها ووضع الحلول والمعالجات العلمية الكفيلة بالقضاء على المشكلة الاجتماعية والحيلولة دون انتشارها واستفحالها في المجتمع، كمشكلة الجريمة وجنوح الاحداث، والتسول، والتفكك الاجتماعي، والبطالة، والطلاق، وغيرها من المشكلات.

فضلاً عن الشروع في وضع وتصميم الخطط والسياسات الاجتماعية التي تهدف الى الارتقاء بالمجتمع، ونقله من مرحلة الجمود والتخلف الى مرحلة اكثر تطوراً ورقياً، وذلك بتهيئة وتوفير الظروف الاجتماعية والحضارية التي ينعم في ضلالها الانسان، بالحرية والكرامة ومستوى عالٍ من الرفاهية المنشودة social welfare.

ان تنظيم وهندسة المجتمع يجب ان لاتتم بالطريقة العفوية او الانفعالية بل يجب ان تعتمد على الدراسة الموضوعية، التي تهدف الى وضع استراتيجية اجتماعية شاملة يسير عليها المجتمع، ثم استثمار السبل

ج- دراسات خاصة بالحرك الاجتماعي وأشكاله وعلاقته ذلك ببعض العوامل، مثل حجم الاسرة، وفرص التعليم، والبناء المهني، وماهية المشكلات الاجتماعية فيه^(١).

٣- تهتم الهندسة الاجتماعية بطبيعة الاستراتيجية الاجتماعية social stratege التي تنتهجها الدولة، من حيث محتوياتها ووسائلها واجراءاتها الفنية والادارية، والاهداف التي تسعى اليها.

٤- تهتم الهندسة الاجتماعية، ببرامج التخطيط الاجتماعي social planning وقواعده ومبادئه، وانواعه، ومراحله الزمنية، فضلاً عن توجيهه في سياق علمي منظم قائم على الموازنة بين الحاجات الاساسية للبلد، وبين ما متوفر لديه من امكانات وطاقات مادية وبشرية وطبيعية.

٥- تهتم الهندسة الاجتماعية بمعرفة طبيعة التنظيم الاجتماعي social organization وماهية الوسائل والاليات التي تستند اليها، النظم والمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في المجتمع، وكيفية النهوض بها وتطويرها، من حيث الهيكلية الادارية والبنية التنظيمية.

٦- تسعى الهندسة الاجتماعية الى وضع الاسس والقواعد التي تسير عليها الاستراتيجية التنوية الشاملة في البلد، من حيث مدياتها واجراءاتها، والاهداف التي تسعى اليها. اذ ان التنمية يمكن هندستها اجتماعياً، لتحقيق اكبر قدر ممكن من احتياجات المجتمع ومتطلباته من الخدمات الاجتماعية والثقافية والسياسية والترويحية.

ومن مظاهر الهندسة الاجتماعية وتطبيقاتها الدينامية المعاصرة، هي القضايا الجوهرية التي تتعلق بالتخطيط الاجتماعي والتنمية الاجتماعية الشاملة social development، والقضايا التي تندرج تحت نطاق عمليات

^١ د. احمد كمال احمد، قراءات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨١، ص ٢٧.

لهذا فان اهداف التخطيط لايمكن الا ان تقوم على اساس تمكين هذا الانسان من اداء دوره بصورة يتحقق معها اكبر قدر من الدينامية الاجتماعية ليحس بان له دوراً في العملية الاجتماعية، بوصفه هدف التخطيط، فاذا استطاعت الخطة ان تتعرف على طاقات الانسان وقدراته الفعلية أو الجسدية أو النفسية أو الخلقية^(١) كانت اكثر قدرة على تحقيق الاهداف التي ترمي الى تحقيقها الخطة.

لايخفى علينا ان التنمية تستهدف تحسين احوال الانسان والارتقاء به اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا من خلال توسيع خياراته ومشاركاته في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، بوصف الانسان وسيلتها وغايتها الاساسية.

ان مجمل عمليات التخطيط الاجتماعي من الدراسة والتشخيص وجمع البيانات والمعلومات والحقائق عن ظاهرة من الظواهر او نظام من النظم، او قطاع من القطاعات. انما تهدف الى الارتقاء بمستوى الحياة الاجتماعية للانسان، فضلاً عن تحقيق رفاهيته وسعادته، وذلك بتوفير واشباع احتياجاته الاساسية والكمالية، لينعم بحياة كريمة، بما توفره له من امن وطمأنينة اجتماعية على نفسه واسرته ومجتمعه.

لذا يؤكد الاستاذ احمد كمال احمد بان التخطيط الاجتماعي انما هدفه واضح وهو نقل المجتمع من صورته الحالية الى صورة اخرى مرغوب فيها، أي مطلوب الوصول اليها، لتحقيق رفاهية وسعادة المجتمع^(٢).

وهذه الانجازات الاجتماعية انما هي من صميم البرامج التنموية المختلفة، التي تسعى جاهدة الى تعديل وتحسين الظروف الاجتماعية والحضارية التي يعيشها المجتمع، سواء في الجانب الاقتصادي، كتنمية

^١ جامعة الدول العربية الأمانة العامة للشؤون الاجتماعية والثقافية، الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، تونس، ١٩٨٥، ص ٢٥.

^٢ د. احمد كمال احمد، المصدر السابق نفسه، ص ١٥٠.

اقتصادية Economic development ام كتنمية اجتماعية social development او كتنمية بشرية Human development، ام كتنمية مستدامة .sustainable development.

ان الغرض الاساس من كل عمليات التنمية، انما هو ترشيد الفعل الاجتماعي social action أي السلوك البشري، وجعله اكثر قدرة على العطاء والابداع في أي جانب من جوانب الحياة الاجتماعية. اذ ان الفعل الاجتماعي يتخلل المجالات التنموية كلها، فهو المسؤول الاول عن التنمية المركبة compound development، والتي تتلخص غاياتها في تعظيم الفعل الاجتماعي ورفع كفاءته وغيريته وعدالة توزيع نتاجه، ان الفعل الاجتماعي بهذا الشكل يؤثر في الاداء الاقتصادي والعلمي والسياسي والثقافي، وهو يباثر بنفس الوقت بمستوى الاداء ووجهته في هذه المجالات^(١).

ان التنمية الاجتماعية في جوهرها تعظيم للفعل الاجتماعي social action أو هي تطوير لكفاءة البشر وتنمية لقدراتهم الروحية والثقافية والفنية في اطار الخصوصية الحضارية والتاريخية لذلك المجتمع المزمع تنميته^(٢). وهذه التوجيهات تسعى الى تحقيقه المناهج التنموية الحديثة التي تعالج قضايا حقوق الانسان وحرياته العامة والسياسية، من قبيل حرية الرأي والفكر والعقيدة، والمشاركة السياسية وحقوق العمل، والانتاج، والتعليم، والصحة، ومختلف الخدمات الاجتماعية، التي تدخل في صميم الخطط التنموية المعاصرة. لاسيما التي تؤكد عليها برامج الامم المتحدة، كالتنمية البشرية والتنمية المستدامة، التي تتسع برامجها لتغطي كافة مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فضلاً عن اخذها في الاعتبار طبيعة

^١ جامعة الدول العربية، المصدر السابق نفسه، ص ٤٦.

^٢ المصدر نفسه، ص ٤٧.

الموازنة في العمليات الاستثمارية التي اخذت تستنزف موارد البيئة الطبيعية وطاقاتها للحفاظ على مستقبل الاجيال القادمة.

ولايتسع المجال هنا للحديث عن المؤشرات والمحتويات التي ينص عليها دليل التنمية البشرية الذي يصدر سنوياً عن هيئة الامم المتحدة، فالقصد هنا هو لفت النظر الى قضايا ومرتكزات اساسية، تدخل في المحاور الاساسية في الهندسة الاجتماعية.

ثانياً : الهندسة الاجتماعية والتنظيم الاجتماعي

توجد علاقة وثيقة بين الهندسة الاجتماعية والتنظيم، تتجلى من خلال صياغة البرامج والنشاطات التي ترمي الى بناء الفعل الاجتماعي للانسان وتطويره في ظل العمليات الهادفة الى تحقيق الرفاهية الاجتماعية social welfare للمجتمع.

ان التنظيم الاجتماعي يكاد يرى رايموند فيرث R. Firth يشير الى ترتيب النشاطات في المجتمع، أي عملية ترتيب الافعال وانتظام العلاقات من اجل اهداف اجتماعية، وقد تُغير الوسائل التنظيمية هذه مظاهر البناء الاجتماعي، وان هذه النشاطات الاجتماعية ليست عشوائية انما هي منظمة في علاقات متداخلة ومتراصة^(١).

ووفقا لذلك فالتنظيم الاجتماعي مفهوم واسع يظهر حينما يتأسس نهج واضح يتم من خلاله تنسيق النشاطات الاجتماعية في جماعة معينة لانجاز اهداف محددة^(٢).

فالتنظيم يقتضي التخطيط اولاً، فحينما نخطط لبرامج معينة او سياسات تنموية، فهذا يعني اننا نرسم ونرتب النشاطات الاجتماعية

¹ Raymond. Firth, essays on social organization and values, western printing, services, Ltd. University of London, 1964, P 45.

² David. Sills, International Encyclopedia of the social science, Volume 11, the Macmillan Company, Free Press, New York, 1972. P. 294-298.

والاقتصادية المُزَمع تقديمها في اطار عمل قصدي وتنظيمي في آن معاً، ولذا سيكون التنظيم نتيجة حتمية ومنطقية وليداً لعمليات ونشاطات واساليب التخطيط الاجتماعي. ولهذا كما يؤكد كثير من العلماء ان التخطيط يسبق التنظيم، وان التنظيم الاجتماعي يأتي تابعاً له ومواكباً لفعالياته.

ولقد تمخض عن هذا المفهوم، مفاهيم فنية اخرى، تعززته وتقربه من عمليات الهندسة الاجتماعية باشكالها المختلفة، من قبيل النمو التنظيمي *organizational growth*، والتغير التنظيمي *organizational change*، والتنمية التنظيمية *organizational development*.

ويذهب بالقول الاستاذ علي عبد الرزاق جلبي ان النمو التنظيمي يعني غلبة الطابع التنظيمي وتغلغله في كافة وجوه الحياة الاجتماعية. في حين ان التغير التنظيمي يشير الى اختلاف حجم التنظيم مثلاً من وقت الى آخر وتباين بناؤه عبر الزمن، واستبدال اهدافه ووظائفه مع الوقت، بينما يشير مصطلح التنمية التنظيمية الى تلك التغيرات المقصودة والتي يخطط لها بهدف احلال وضع تنظيمي محل غيره، والتغلب على مشكلات يعينها^(١).

لقد اصبح للتنظيم دوراً مهماً في ترتيب وتوجيه حياتنا الاجتماعية على المستوى الفردي وعلى المستوى المجتمعي، لأن الوحدات التنظيمية، طغت على معظم حياة الانسان ونشاطاته، فهو بدءاً يولد في تنظيم اجتماعي صغير، يعطيه خصوصيته وهويته الاجتماعية، ويدربه على شتى المهارات الاجتماعية والاخلاقية والسلوكية، وهذا مايقوم به التنظيم الاسري *organizational family*، ومن ثم يتلقاه تنظيمياً اجتماعياً رسمياً اخر هو المدرسة، التي تسعى الى تعليمه وتربيته على شتى العلوم والمعارف

^١ د. علي عبد الرزاق جلبي، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، مصر ١٩٨٩، ص ١١، ١٤، ١١.

والفنون، لتفتح ذهنه على طبيعة المستجدات العصرية التي يعيشها ويواجهها في المجتمع، حتى يحسن التعامل معها.

وهكذا شان التنظيمات الاجتماعية الاخرى التي تحيط بالانسان من كل جانب كالتنظيمات الدينية مثل الجوامع والمساجد والمراكز الدينية والثقافية المختلفة، والتي تسعى الى تنشئته واعداده اعداداً روحياً وعقلياً، لكي يكون قادراً على ممارسة أدواره، وهكذا التنظيمات الثقافية، والسياسية المسؤولة عن عمليات التنشئة السياسية *political socialization*.

ان هذا الامر يجعلنا ن فكر بجدية وعمق في البنى التنظيمية ووسائلها وقواعدها، من حيث درجة فاعليتها وقدرتها في النهوض بمتطلبات الافراد واشباع احتياجاتهم، وتحقيق اهدافهم الذاتية والعامه.

ان هذا الامر لا يتأتى الا في سياق عمليات التنسيق بين السياسات التنموية، والتنظيمات الاجتماعية على اختلاف صورها ومستوياتها، بحكم ان هناك علاقات تكاملية وتبادلية ما بين هذه النشاطات والبرامج.

لأن كلها تدور حول السبل والآليات التي ترتقي بالانسان والمجتمع، وذلك بتوفير مستلزمات العيش الكريم له، من خلال بث العدالة الاجتماعية وتحقيق الرفاهية الاجتماعية بكل عناصرها ومتطلباتها.

وهذا ما يؤكد فكرة التكامل والتواصل ما بين مختلف مظاهر الهندسة الاجتماعية وان اختلفت وتباينت من حيث المنهج والرؤية، فقسم منها تهتم بتنمية وتطوير الجوانب المادية في المجتمع، والبعض الآخر يركز على تنمية الجوانب المعنوية والسلوكية في المجتمع، كالارتقاء بالسلوك الاجتماعي للانسان، وبناءه وفق القيم والمعايير التنظيمية العقلانية التي تضبط هذا السلوك وتوجهه في مختلف الادوار والمنازل الاجتماعية التي يشغلها الفرد في مؤسسات المجتمع واجهزته المختلفة.

المبحث الثالث

السويد، والترويج، والدنمارك، وفلنדה. هذه الدول التي تحققت فيها دولة الرفاهية الاجتماعية.

بينما في الجانب الآخر نرى كذلك فشل المنظومة الدولية التي تبنت النهج الاشتراكي، وسارت على هدي النظرية الاشتراكية، كالاتحاد السوفيتي السابق، ودول اوربا الشرقية، سواء كانت الاخطاء في المنهج ذاته ام في عملية تطبيق ذلك النهج في عناصره ومقوماته ومبادئه، القائمة على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج، وسيطرة الدولة وقيادتها لكافة مفاصل الحياة الاقتصادية والمؤسسية فيها، وبالمقابل ضيق كل السبل والمنافذ امام النشاط الخاص والمبادرات الفردية والذاتية. وبالتالي اقحمت الدول في ظل هذا النظام نفسها في امور بسيطة لاينبغي لها ان تمارسها او تسيطر عليها وتوجهها حسب مقتضيات أمنها الاجتماعي والسياسي، وهذا لاينفي ان الدول في هذا النهج قد حققت شوطاً مهماً في مطلب العدالة الاجتماعية المركزي في هذا النهج، من قبيل العدالة في توزيع عناصر العمل من استثمار وانتاج واستهلاك، وراس مال، وغيرها من المتطلبات التي توفر مناخاً اجتماعياً مؤاتياً لجميع افراد المجتمع بالعمل والتعليم والتدريب، والتنعم بخدمات البنية التحتية، من ماء وكهرباء وشبكات المجاري والمستشفيات والمراكز الصحية المختلفة.

ومع كل ما رافق التجارب الاشتراكية في الدول التي طبقتها، من ايجابيات وسلبيات الا ان اغلبها اخفقت وانكست بشكل كبير، كما حصل في الاتحاد السوفيتي في عهد غورباتشوف الذي قاد حركة اصلاحية اقتصادية اطلق عليها "البيروستريكا" والتي لم تجد نفعاً لان الافكار والمشاكل التي خلفها النظام، كانت كثيرة ولايمكن علاجها، ولذا انتبهت كثير من الدول الى هذه المسألة وحاولت تلافيها، فتراجع النهج الاشتراكي القهقري

مخلفاً وراءه عبئاً ثقيلاً من المشكلات الهيكلية والتنظيمية، في جميع مفاصل المجتمع.

في حين يبقى المنهج والنظام الاسلامي متميزاً في جميع قواعده ومبادئه ووسائله لانه من صنع الخالق تبارك وتعالى، وهو الذي خلق الانسان والكون كله، ويعلم ما يفيد وما يحقق سعاداته وكرامته. كما في قوله جلا وعلا ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأُمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ الرعد: ٢.

وعلى هذا الاساس فاننا نطرح التنظيم الاسلامي بوصفه التنظيم الشمولي التكاملي الذي يحقق سعادة البشرية وأمنها. فالنظام الاسلامي بما يمتلك من المقومات والقواعد والمبادئ ما يجعله قادراً على تلبية متطلبات المجتمع وطموحاته ويحقق مزيداً من الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الذي يطبقه لأنه أقر مبدأ الملكية الفردية، وصانها بسياج متين من الاحكام، وأقر الملكية الجماعية بما تحقق مصلحة المجتمع، وأقر الملكية العامة وملكية الدولة في الاشياء الضرورية التي لايجوز امتلاكها من قبل الافراد، حتى لايتحكموا بمصالح المجتمع^(١).

ان للشريعة الاسلامية نظرة عامة الى الحياة، واستراتيجية تتسجمان مع مقاصدها وتسمحان بطرح برنامج عمل عادل وعملي لحل المشاكل التي تواجهها البلدان الاسلامية، بشرط توافر الارادة السياسية اللازمة لتبني تعاليم الشريعة وتنفيذ اصلاحاتها^(٢).

^١ خليل محمد الخالدي، التنظيم الاجتماعي في الاسلام، رسالة دكتوراه- قسم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٠٥.

^٢ د. محمد عمر شابرا، الاسلام والاستقرار الاقتصادي ترجمة د. محمد زهير السهموري وآخرون، المعهد العالي للفكر الاسلامي، عمان ١٩٩٦، ص ٢٥٦.

ان النموذج الاسلامي Islamic model جدير بان يحتذى ويطبق لاسيما في المجتمعات العربية والاسلامية، بحكم ان غالبية سكانها تدين بالعقيدة الاسلامية، ولهذا فالاطار الاجتماعي والحضاري لهذه المجتمعات مهية وخليق بان يطبق فيها النموذج الاسلامي الحضاري التتموي الذي بوسعه ان يحقق عدالة اجتماعية وعدالة اقتصادية، وحاكمية اسلامية تتبنى الشورى مبدأ وقاعدة لها. في حين ان الآليات والوسائل التي تقترحها كعناصر ومقومات اساسية في منهج الهندسة الاجتماعية الذي نعتقد بانه جدير باحداث تنمية اجتماعية ورفاهية اقتصادية، تحققان تطوراً عالياً في نوعية الحياة Quality of life وسبل الارتقاء بها.

ان مفهوم نوعية الحياة يرتبط بصورة وثيقة بمفهومين اخرين وهما الرفاه welfare والتنعم well-being، وهو يرتبط كذلك بمفاهيم التنمية والتقدم والتحسن، واشباع الحاجات^(١).

هذه المفاهيم كلها تدخل ضمن استراتيجيات الارتقاء الاجتماعي التي تبناها البحث من اوله الى آخره، قاصداً بذلك طرح منهجية علمية واقعية يمكن ان تتبناها المجتمعات العربية، ومجتمعات العالم النامي، التي هي في طور التقدم والنهوض الحضاري، لتحقيق قفزة اجتماعية وحضارية عالية في سلم الرقي والتقدم الانساني.

وفيما يأتي عرض موجز لاهم الوسائل والآليات العلمية والعملية المقترحة لتحقيق عملية الارتقاء الاجتماعي والحضاري للمجتمعات :

- ١- التأكيد على الدراسات والبحوث الاجتماعية التطبيقية الميدانية والنظرية.
- ٢- تشجيع التربية والتعليم واكتساب المهارات.
- ٣- التركيز على الاسرة ودورها في عملية التنشئة الاجتماعية.
- ٤- تفعيل وسائل الاعلام والاتصال، والمعلوماتية بكل نظمها ووسائلها.
- ٥- التركيز على برامج الرعاية الاجتماعية والصحية.

^١ د. نادر فرجاني، في نوعية الحياة في الوطن العربي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢، ص١٣.

٦- تفعيل مؤسسات المجتمع المدني.

٧- التركيز على تنمية الموارد البشرية والمادية في المجتمع.

ان هذه المقترحات بوصفها وسائل علمية، اذا ما طبقت بشكل علمي مدروس ووفق صيغ وخطط وبرامج اجتماعية واقتصادية متنوعة، يمكن ان تحدث تحولاً اجتماعياً كبيراً في طراز الحياة الاجتماعية ونوعيتها، وتحقيق ضرب من الارتقاء الاجتماعي والحضاري للانسان والمجتمع.

ان هذه الاليات المقترحة لها دور فاعل ومهم في هذه الاستراتيجية الاجتماعية الشاملة، فبالنسبة للآلية الاولى، القائمة على تفعيل الدراسات والبحوث الاجتماعية والميدانية والتطبيقية على حد سواء، تأخذ حيزاً كبيراً في هذا المقترح، بوصفها العنصر الاساس في كل عمل وجهد تخطيطي وتنموي، اذ بلا دراسات ومسوحات اجتماعية، لايمكننا معرفة طبيعة الواقع والتعبير عنه، بالاحتياجات والهموم والمشاكل الاجتماعية التي تقتضي حلولاً عاجلة. اذ عن طريق هذه الدراسات والمسوحات يمكننا الحصول على بيانات ومؤشرات اجتماعية وديمغرافية عن طبيعة المجتمع المحلي، المراد تنميته وتطويره، وهكذا بالنسبة لأي اقليم أو مدينة، يجب أن نجمع البيانات والحقائق التي تعطينا صورة واضحة عن ماهية المطالب والاحتياجات التي تتطلب حلولاً ومعالجات سريعة.

في حين ان الاليات الاخرى اكثرها تهتم بتطوير وتعظيم الفعل الاجتماعي أي السلوك الاجتماعي للانسان بوصفه المصدر الاساسي المحرك لكل هذه العمليات والنشاطات والخطط. فلا يمكن تعظيم الفعل الاجتماعي وتوجيهه، الا عبر المؤسسات الاجتماعية المختصة باعلاء الانسان وتدريبه، كالمؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية، التي يقع عليها دوراً كبيراً في هذا الميدان، بوصفها تلعب دوراً كبيراً في عمليات تلقين المعارف والمهارات والتدريب على شتى الفنون والمهن عبر سلسلة من العمليات او الدورات التدريبية التي تقيمها التشكيلات المؤسسة.

وتشترك في هذه العملية الاسرة بوصفها الركيزة الاساسية في بنية المجتمع، فهي كذلك تضطلع بدور كبير في عملية الاعداد والتنشئة الاجتماعية التي تساهم بقدر

- ٣- د. احمد كمال احمد، قراءات في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨١.
- ٤- د. احسان محمد الحسن، موسوعة علم الاجتماع، ط١، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢... .
- ٥- د. احسان محمد الحسن، المدخل الى علم الاجتماع، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٨.
- ٦- جامعة الدول العربية، الامانة العامة للشؤون الاجتماعية والثقافية، الاستراتيجية العربية للتنمية الاجتماعية الشاملة، تونس، ١٩٨٥.
- ٧- خليل محمد الخالدي، التنظيم الاجتماعي في الاسلام، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، ٢٠٠١.
- ٨- د. علي عبد الرزاق جلبي، علم اجتماع التنظيم، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨٩.
- ٩- د. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ١٩٨٩.
- ١٠- د. محمد عمر شابرا، الاسلام والاستقرار الاقتصادي، ترجمة د. محمد زهير السمهوري وآخرون، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، عمان، ١٩٩٦.
- ١١- د. محمد نبيل جامع، المفتاح في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، بلا تاريخ.
- ١٢- ميشيل دنكن، معجم علم الاجتماع، ترجمة د. احسان محمد الحسن، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٠.
- ١٣- د. نادر فرجاني، في نوعية الحياة في الوطن العربي، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.
- 14- David. Sills, International Encyclopedia of the social science, Volume 11, the Macmillan Company, Free Press, New York, 1972.

- 15- Raymond. Firth, essays on social organization and values, western printing, services, Ltd. University of London, 1964.

Abstract

Social Engineering and Social Development

Dr. Khalil M. Al-Khālidi *

The present paper sheds light on very vital branch of sociology, namely, 'applied sociology'. This branch deals with various aspects of life via applying different social scientific criteria. The study aims at explaining the means whereby society can be developed. The study adopts social analysis as its approach. This approach represents systemic sociological view in analyzing the social phenomena.

* Lec.- Dept. of Sociology- College of Arts / University of Mosul.